المحاضرة الثالثة عشر: علم الجمال

1. تمهيد:

ارتبط النّقد مطلع القرن العشرين بعلم الجمال، الذي يُعدّ في الأساس فرعا من فروع الفلسفة، وصار النقد الفني أو الجمالي يخضع لرؤى وقيم جديدة رسمتها مذاهب الأدب الحديثة كالمذهب الرومانسي المناهض للتحليل الكلاسيكي العقلاني القديم للأدب.

2. مفهوم علم الجمال (الايستطيقا):

هو علم "يُعنى بالنظريات الفلسفيّة التي تفسّر تطوّر وتبدّل النظرة إلى علم الجمال، فالإنسان يحكم بالجمال على ما يحيّه ويعجبه، سواء في الحياة أو في الطبيعة، ولكن هذه الأحكام تتحوّل بفعل الإبداع إلى تعبير ينطوي على إدراك خاص بفعل شعور وانفعال وخيال، أو كما يقول الفيلسوف الإيطالي **بندتو كروتشه** (1866/ 1952م) : تتحوّل إلى حدس يُنتج لغة من الكلمات أو الأصوات أو الصور الجميلة.

وبمعنى آخر؛ يبحث علم الجمال أو فلسفة الفنّ في التعبير الجميل عمّا يدركه الإنسان، وهذا العلم يتّصل بالعديد من العلوم الإنسانية كالنقد الأدبي والفنّي وأيضا بتاريخ الفنون وعلم النفس والاجتماع، كما يتّصل بالفلسفة التي قدّمت النظريات والرؤى الأساسيّة للجمال، فلا تكاد تخلو فلسفة من تأمّل في هذا الموضوع المهمّ لحياة البشر"[1].

ظهرت فلسفة الجمال في النصف الثاني من القرن الثامن عشر على يد الناقد والفيلسوف الألماني **باومغارتن** Baumgarten عندما أطلق مصطلح (استطيقا) على علم الجمال، وحدّد مجاله

[1]. يُنظر؛ أميرة حلمي مطر، علم الجمال وفلسفة الفن، ط1، دار التنوير، القاهرة، مصر، 2013، ص07.

الذي يدور عموما حول منطق الشعور والخيال الفنّي الذي يختلف عن منطق العلم والتفكير العقلي، كما أسهم **إمانويل كانط** Kant بآرائه وأفكاره حول علم الجمال، ومؤدّاها أنّ الخبرة الجمالية لا ترجع إلى النشاط النظري الذي يقوم به الذهن، والذي يحدّد شروط المعرفة في علوم الرياضيات والفيزياء، ولكنّه يرجع إلى الشعور باللذة الذي يستند على اللعب الحرّ بين الخيال والذهن"[1].

3. فلسفة الجمال عند اليونان:

- **هير اقليط (480/576 ق م):** جعل **هير اقليط** من الآلهة أنموذجا كاملا متكاملا للجمال، ورأى أنّه من الصعب قيام علم خاص يعالج الجمال، نظرا لنسبيّة الأحكام الجمالية عند الناس، هذه النسبيّة تعود إلى تصنيف العناصر إلى مجموعات كلّ عنصر فيها يُقاس جماليّا إلى بقية عناصر مجموعته، فإذا وُصف بالجمال في مجموعته قد يُوصف بالقباحة نسبة إلى مجموعة أخرى وهكذا...

- **سقراط (399/470 ق م):** آمن **سقراط** بمبدأ النسبيّة حيث أنّ للجمال في نظره مثلا أعلى كاملا لا يمكن أن تبلغ مرتبته الأشياء، يتجسّد في الفضيلة ليعكس جمال النفس الحقيقي، ورأى أنّ الشيء حتّى يوصف بالجمال ينبغي أن يكون نافعا على نحو ما، وإلّا كان قبيحا للغاية، فأخضع بذلك مفهوم الجمال لمبدإ الغائيّة، فالإنسان الرائع بنظره هو الذي يتميّز بحسن الخلق.

- **أفلاطون (347/427 ق م):** رأى **أفلاطون** أنّ ما ندركه بحسّنا يعكس عالم الصور الخالصة وهو عالم الحق والخير والجمال، الذي يتجاوز مدركاتنا المحسوسة إلى مجال المعقول،

[1]. يُنظر؛ أميرة حلمي مطر، علم الجمال وفلسفة الفن، ص11.

فالأخلاق والأعمال والفضائل والفنون ليست إلّا محاكاة لما تعلّمه الإنسان قبل هبوطه من عالمه الروحي إلى جسده الماديّ... وترتفع مرتبة الجمال عند **أفلاطون** حتى يقول أنّ الحبّ الحقيقي هو حبّ الجمال[1].

4. فلسفة الجمال عند الفلاسفة والأدباء:

طرح **أبو حيّان التوحيدي** مسألة الجمال والتذوق الجمالي في كتابه الهوامل والشوامل، ثمّ قدّم شروطا لذلك التذوق الجمالي فرأى انّه يخضع لعاملين:

الأوّل: هو اعتدال مزاج المتذوّق فلا ينفر إلى الغريب المتطرّف، والشاذّ المنحرف.

الثاني: تناسب أعضاء الشيء بعضها إلى بعض في الشكل واللون وسائر الهيئات.

كما يعدّ **كروتشه** من أكثر علماء الجمال المعاصرين تأثيرا، فقد جاء بمفهوم جديد عن الفنّ حاول ان ينقيه من كلّ الارتباطات الخارجيّة، ليضمن استقلاله التامّ ولا تتّضح مكانة الفنّ وطبيعته وغايته وعلاقاته بالأنشطة الأخرى الإنسانية إلا من خلال السياق الميتافيزيقي المثالي لفلسفة **كروتشه**، ولهذا الأخير كتابين في علم الجمال هما: الإستطيقا بوصفها علم التعبير واللغة العام/ المجمل في فلسفة الفنّ[2].

وفي العصر الحديث، رفض **العقاد** مبدأ الالتزام الذي طغى على جمالية الإبداع، ورأى فيه بدعة من بدع الاشتراكية، وهو لا ينكر الالتزام في حدّ ذاته، وإنّما يريد القول بأنّ رسالة الأدب لا يمكن أن توجهها الواقعية الاشتراكية أو الوجودية أو غيرهما، وإنما حرية الأديب في معالجة شتى المواضيع الإنسانية هي التي توجّه رسالة الأدب، كما أنّ **العقاد** "لا يهمل الهدف الاجتماعي بل إنّه

[1]. يُنظر؛ المدخل في علم الجمال، هديل بسام زكارنة، ط1، مركز الكتاب الجامعي، عمان، الأردن، 2003، ص21.

[2]. يُنظر؛ وفاء محمد إبراهيم، علم الجمال (قضايا تاريخية ومعاصرة)، دط، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، 2017، ص82.

فقط يربط العمل الفنّي بالجمال، وهذا الجمال كذلك مرتبط بكيان المجتمع، عن طريقه سيبعث في المجتمع الإحساسات الصادقة والسليمة بالفنّ والجمال وفهم الحياة"[1]، فالالتزام عند **العقاد** يأخذ اتّجاها مختلفا، حيث إنّه بوسع الأديب التعبير عن المجتمع، وبإمكانه الدعوة إلى الإصلاح والنهضة، لكن لا يمكن للأديب الالتزام بتلك القضايا تمام الالتزام، لأنّه حرٌّ في مواقفه وفي تعبيره، والتعبير في حدّ ذاته غاية مثل غيرها من الغايات، كما أنّ رسالة الأدب الأولى والأسمى؛ هي الجمال.

[1]. رجاء عيد، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 1988، ص283.